الدكتور نانسن والرحلة القطبية

[تركنا نانسن في الجزء الماضي وهو يئس من التقدم شمالاً وعازم على توديع تلك الاصقاع والعود الى الاوطان . قال]

وفي الثامن من ابريل حوّلنا وجهنا نحو الجنوب نحو ارض فرنز جوزف لكي نعود الى الوطن . وكان كلٌّ منّا يدير ساعتهُ كل ليلة قبلما يدخل كيسهُ الذي ينام فيهِ . وفي الثاني عشر من ابريل واصلنا السير بالسُّرى ستًّا وثلاثين ساعة ولما اردنا النوم نظرنا الى ساعتينا فاذا هما واقفتان فندمنا على ما فرط منا ولات ساعة مندم . وقمت في الصباح ارقب الشمس وادرت ساعتي بحسبها واردت ان اصحح الوقت برصد القمر فوجدت انني تركت الزيج في السفينة سهوًا

ولما بلغنا الدرجة الخامسة والثمانين وذلك في الخامس والعشرين من ابريل رأينا على الجليد آثار ثعالبين من ثعالب تلك البلاد فاستنتجنا اننا قريبون من البر ولكننا نظرنا حوالينا فلم نرَ برًّا ولا ما يدلُّ عليهِ . ولم يكن سطح الجليد متصلاً بل كانت فيهِ ثُغَر كثيرة واخاديد كبيرة مغطّاة بقشرة رقيقة من الجليد فلا يمكننا الوثوب من فوقها ولا الدوس عليها فكنا نضطر ان ندور حولها وكثيرًا ما كنّا ندور اميالاً كثيرة ثم نعود الى طريقنا الاول فيمضي نصف يوم من غير ان نتقدّم خطوة . وكثرت هذهِ الاخاديد بتقدُّمنا جنوبًا فعاقت سيرنا وكاد زادنا ينفد فاخذنا نقتل الكلاب التي معنا واحدًا بعد الآخر ونطعم لحمها لرفاقها . وقد عافت الكلاب اولاً اكل اخواتها ولكن الجوع كافر فأكلت ما نفرت منهُ . وبلغ منها القرم والجوع اخيرًا ان صارت اذا قتلنا واحدًا منها لا تدع دمهُ يصل الى الارض . وهزلت ابدانها رويدًا رويدًا لقلة الطعام حتى لم تعد تستطيع السير ولم يبقَ لنا مناص من قتلها

وزادت الاخاديد في شهر يونيو (حزيران) حتى كاد السير يتعذّر علينا وقلَّ زادنا فصرنا نبلّغ بهِ تبلُّغًا . وكنت احسب اننا سنصيب ارضًا شماليَّ ارض فرنز جوزف وهي التي ذُكرت في خريطة بيري وسُمّيت ارض بترمن ولكن مضت الايام والشهور ونحن نسير في طلب هذه الارض لعلنا نجد فيها صيدًا نصطادهُ فلم نعثر عليها . واخيرًا رأينا حيوانًا كبيرًا من نوع النقمة (ترى صورتهُ على الصفحة التالية) فطابت نفوسنا برؤيتهِ وتجلّاهُ برصاصة اصابت منهُ مقتلاً فعزمنا ان نلتي هناك عصانا فنتخذ بلحم هذا الحيوان ونتنظر الى ان يذوب الجليد . وكان ذلك في الثاني والعشرين من شهر يونيو (حزيران) وبعد تاييل النقينا بثلاثة

ادياب فتلناها وكثر علينا الهم وعلى كلينا الباقين في قيد الحياة فاكلنا وشبعنا وطابت نفوسنا

وفي الثاني والعشرين من شهر يوليو (تموز) سهل علينا السير على الجليد ولكن اصابتنا مصيبة كادت تقضي على رفيقي وذلك اننا وصلنا الى خليج واسع فاردنا ان نعبره بقاربينا وفيما انا مشتغل بانزال قاربي سمعت صرخة شديدة فالتفت واذا رفيقي جونسن مطروح على ظهره

ترى في هذا الشكل صورة قنبرين العليا تتهما من النوع الغريطندي والسفلى من النوع الاوفيانوسي والقنبر كثيرة في الاماكن الشمالية وتوجد ايضاً في الاوفيانوس الاطلنتيكي وفي البحر المتوسط

وفوقهُ دبٌّ كبير وهو ماسك بخناق الدب وكانت بندقيتي على ظهر القارب فحاولت نزعها منهُ فوقع القارب في الماء وقال لي جونسن قائلاً "اسرع اليَّ والاَّ هلكت" فلما سمعت ذلك اظلم الضياء في عيني فجذبت القارب جذبة عنيفة رفعتهُ بها من الماء واخرجت البندقية منهُ باسرع

من لمع البصر واطلقتها على الدب ولاشتغال بالي اطلقتُ الحديدة اليمنى وكانت مشوبة خردقاً (رشاً) لا رصاصاً ولكنها اصابت منهُ مقتلاً فوقع يخبط بدمائهِ فاحتملناهُ طعاماً

وكثر الماء المكشوف حينئذٍ ولم يعد الجليد الذي عليهِ طبقة متصلة بل صار قطعاً متفرقة فاضطررنا ان نثب من قطعة الى اخرى ونحن في خطر الانقلاب كل لحظة ودمنا على ذلك اسبوعين كاملين

وفي السادس من اغسطس اصبنا ارضاً وذلك عند الدرجة الحادية والثمانين والدقيقة الثامنة والثلاثين وهي اربع جزر منفاة بامر الجليد وامامها بحر مكشوف لا جليد عليهِ غير قطع كبيرة متفرقة فانزلنا قاربينا فيهِ وكان لم يزل معنا كلبان نقتلناهما لكي نريحهما من الموت جوعاً وسرنا نشقُّ عباب ذلك البحر ورأينا هناك كثيراً من طيور الماء الوردية الصدر وهي اجمل ما يشاهد في تلك الاصقاع. وقد شوهد هذا الطائر قبلاً ولكن لم يعلم احد وطنهُ ولا من اين يأتي ولا الى اين يذهب. ثبت لنا حينئذٍ ان وطنهُ في تلك الجزائر وفيها يعشش ويفرخ ومنها يقلع الى غيرها ويعود اليها

ثم تكاثف الضباب فحجبنا عن رؤية ما امامنا . وانقشع بعد ايام فاذا نحن بارض فسيحة او سلسلة من الجزائر الى الغرب والجنوب منا فاستغربنا ذلك لانا لم نجد لتلك الارض اثراً في خريطة بير فاستنتجت انني غلطت في تقدير الطول او ان الجليد سار بنا مسافة طويلة جداً ونحن لا ندري وحسبتُ اننا اذا جددنا السير الى جهة الجنوب والجنوب الغربي وصلنا الى جزيرة سبتسبرجن فنجد فيها بعض سفن الروسيين الذين يصطادون الفظ فنركبها ونعود معهم الى الوطن. فبذلنا جهدنا تارةً بالتجذيف في الماء حيث نجد الماء صالحاً لقاربينا وطوراً بجرهما على الجليد الى ان كان اليوم الثامن عشر من شهر اغسطس فعصفت الرياح بغتة وقذفت قطع الجليد نحو الشاطئ وحبستنا فيهِ اسبوعاً من الزمان واقلَّ قيدنا يومين ثم عاد الجليد فتراكم حولنا ومنعنا من السير

ورأينا حينئذٍ ان فصل الشتاء صار على الابواب ولا فائدة من الوصول الى جزيرة سبتسبرجن لو وصلنا اليها لان السفن تكون قد غادرتها فعزمنا ان نشتي حيث كنَّا ولا نضيع الوقت في السفر فيدعنا الشتاء بتزمهريرهِ وليلهِ الطويل قبل ان نصطاد ما يكفينا طعاماً فيهِ. فنزلنا على البر واخذنا من ساعتنا نصيد الفظ ونستخرج دهنهُ لكي نوقدهُ في فصل الشتاء. والفظ حيوان كبير (ترى صورتهُ على الصفحة التالية) يتعذر على رجلين ان يحملاهُ او يجراهُ فصرنا نرميهِ بالرصاص ونقتلهُ ثم نجلس عليهِ ونسلخ جلدهُ ونستخرج دهنهُ فتشرَّبت ثيابنا من دهنهِ ولم تعد

أصلح لوقايتنا من البرد ولم يكن عندنا غيرها . وكانت الارباب كثيرة فاصطدنا بعضها فصار عندنا من اللحم والجلود ما يكفينا . ثم اخذنا نبني كوخاً نأوي اليه ووجدنا الحجارة بيضاء منها ومن العظم والجليد ووجدنا خشبة القاها البحر على الشاطئ فوضعناها فوق الحجارة وبسطنا جلود الفظ فوقها وأثقلناها بالحجارة وصنعنا للكوخ مدخنة من الجليد لتصعد الدخان منها ويتجدد الهواء فلا تفوت اختناقاً . وكان طعامنا لحم الارباب وقودنا دهن الفظ . وخطفنا كيساً كبيراً من جلود الارباب كنا ننام فيه معاً وفرشنا تحتنا كيساً من جلودها وكان معنا مصابيح كنا نملأها بدهن الفظ ونشعلها دواماً فتنير كوخنا وتدفئ هواءه . وكان معنا قدر من الالومينيوم كنا نطبخ فيه طعامنا من لحم الارباب فنأكله مسلوقاً في الصباح ومشوياً في المساء . وكان الجانب الاكبر من كوخنا تحت الارض ولذلك ولأن مصابيحنا كانت موقدة دائماً لم يزد البرد في اسفله عن درجة الجليد واما سقفه

صورة الفظ

فكان باردة جداً يكسوها الجليد فينعكس نور المصابيح عنها ويخال الناظر انه في قصر مرصع باللآلىء لولا ما يأتي من القر والقذر . وكان طول الكوخ عشر اقدام يعرض ستة وعلوه نحو قامة حتى نكاد نرفع رؤوسنا فيه . ولم يكن لنا شغل نشتغل به فكنا نأكل وننام ونأكل يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد آخر . واذا سكنت العواصف خرجنا من كوخنا ومشينا ساعة من الزمان لنروض ابداننا . وانقطع مجيء الارباب من نوفمبر (اشا ٢) الى مارس (اذار) ولكن الثعالب بقيت تتردد علينا وتجلس على سطح كوخنا تفرض ما عليه من اللحم المقدد ونحن نسمع صوتها فنحن ان الجرذان تقرض الطعام في منازلنا . وفي من النوع الابيض والنوع الاسود ولكننا لم نصطد شيئاً منها لان رصاصنا كان اثمن من ان نضيعه في صيدها . والدب اصغر حيوان رأينا ان نسعى عليه برصاصة . ومضى الشتاء ونحن في احسن صحة ولم يكن عندنا كتب ودفيق وسكر لعشنا عيشة الملوك

ثم دخل الربيع واشرقت الشمس واتت الطيور. ولما رأيت اول عصابة منها شعرت كأنَّ حياة جديدة دبَّت في عروقي ووردت عصابات كثيرة بعدها فانتعشت نفسي برؤياها. ورأيت الافق في الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة اسود فقلت لا بدَّ ان يكون ذلك انعكاساً عن بحر يسهل السير في مائهِ والجري مع جليده. فاخذنا نستعدُّ للسفر

وكانت ثيابنا قد تمزَّقت وتراكم عليها الدهن والوسخ فحطنا ثوبين من الاحرمة الَّتي معنا. وحاولنا غسل قمصاننا فلم نجد الى تنظيفها سبيلاً. ولم اشعر قط بالحاجة الى الصابون كما شعرت حينئذٍ. فجعلنا نفركها بدم الارباب والخلب فلم تنظف وجرَّبنا اساليب اخرى فلم نجد نفعاً واخيراً جعلنا نغسلها سلقاً ونكشط الوسخ عنها بالسكاكين فنظفت قليلاً فلبسناها ونحن نحسب ان لبس الثياب النظيفة سيكون اول نعمة نالها في بلادنا اذا بلغناها سالمين. وصنعنا كيساً جديداً من جلود الارباب لينام فيهِ. وكان معنا خيمة من الحرير فمزقتها عواصف الخريف واضطررنا ان نخيط خيمة غيرها من شراع مزلقتينا

وفي التاسع عشر من شهر مايو (ايار) شرعنا في السفر جنوباً وبلغنا البحر بعد خمسة ايام لكن العواصف منعتنا من النزول فيهِ حتى الثالث من شهر يونيو (حزيران) وكان الجليد يغطيهِ فسرنا عليهِ بالمزلقتين بعد ان نشرنا عليها شراعاً. وفي الثاني عشر من الشهر بلغنا طرف الجليد المتصل ورأينا الماء مبسوطاً امامنا كالمرآة فقرَّبنا القاربين معاً ونشرنا عليهما شراع المزلقتين وسرنا سيراً حثيثاً بجانب الشاطئ. ونزلنا ذات يوم على البر بعد ان ربطنا القاربين بقطعة ناشزة من الجليد ولم نبعد عنهما حتى افحل رباطها وساقتهما الرياح الى قلب البحر وكان فيها زادنا وبنادقنا ورصاصنا وباروتنا وكل ما نملكهُ في تلك البلاد المنقطعة فوقفنا ننظر اليهما كمن أُصيب بهيَّة ولكن لم يكن الاَّ لحظة حتى ثاب اليَّ عقلي فطرحت نفسي في الماء وجعلت اسبح وراءهما بكل جهدي. لكن القاربين كانا اسرع مني لان شراعهما كان منشوراً وكانت الريح تسوقهما. وخدرت اعضائي من برد الماء حتى صار يعسر عليَّ استعمالها. لكنَّ في الانسان قوة مذخورة الى حين الشدَّة فدبَّت في بدني حينئذٍ من حيث لا ادري فوثبت الى القاربين كأني طائر ولم يكن الاَّ برهة يسيرة حتى بلغتهما وصعدت عليهما وحمدتُ بهما سالماً

والظاهر ان الحيوانات الَّتي كنا نكثر من صيدها كالدب والفظ حقدت علينا وعزمت ان تأكلنا اخواتها منا فجاءنا فظ منها في اليوم التالي وطعن جانب القارب بنابهِ الطويل فخرقهُ ودخل الماء من الخرق بسرعة حتى كدنا نغرق فدفعناهُ الى البر ونزلنا منهُ فنجونا ونجيناهُ من الغرق ولكن تبلَّل كل ما فيهِ من الاحرمة والصور الفوتوغرافية

وفي اليوم التالي قمت باكرًا وصعدت على اكمة لكي اشاهد البلاد التي حولنا فسمعت اصوات طيور البحر وفي كثيرة تسمع الآذان وسمعت بينها صوتًا يخالفها وهو صوت نباح كلب سمعتهُ واضحًا حتى لم اشكَّ فيهِ ولكنهُ ضاع بين اصوات الطيور فحسبت انهُ وهم . ثم عصفت الريح من تلك الجهة فسمعت الصوت ثانيةً . سمعتهُ واضحًا جدًّا فلم يبقَ في نفسي ريب انهُ صوت كلب وانا على مقربة من الناس فهرعت الى جونسن وايقظتهُ قائلاً اني اسمع نباح كلب فلم يفهم ما قلت . فاكلت بلغةً وشددت حذائي الطويل واسرعت الى الشاطىء واذا انا بالمستر جكسن (الذي نجاها) ومن يصف ما طفح على قلبي من السرور حينئذٍ .

(وهنا ختمت الرسالة الثانية من رسائل الدكتور جنسن ومنأتم على الرسالة الثالثة في الجزء التالي)

ازياء الناس في لباس الراس

ازياء النساء

جميع طوائف الحيوان ذكورها تتزين وتتبرقش اكثر من اناثها . ترى ذلك واضحًا في الديك والطاووس والحسون . وهذا التزين لا يقتصر على الطير بل يتناول الوحوش والدبابات ولكنهُ ليس بالغًا فيها بلغهُ في بعض انواع الطير . ويقال ان الحكمة في ذلك ترغيب الاناث في الذكور لاجل المزاوجة وتكثير النسل اتمامًا لقصد الخالق بدليل ظهور تلك التزاويق في فصل المزاوجة غالبًا . وسواء صح هذا القول او لم يصح فلا شبهة في ان النساء يرغبن في التزين والتبرقش اكثر من الرجال ويتفنن في ملابسهن والوانها على اساليب شتى . ونحن مقتصرون هنا على لبس الراس . فالناظر الى الصورة المدرجة على الصفحة التالية يرى في اعلاها من الجهة اليمنى منظرًا الفهُ في هذا القطر رأس امرأةٍ وضعت تلها على رأسها واسدلت برقعها على وجهها وفاطت قصبها بين عينيها لكي ترى ولا تُرى . لباس حشمة ولكن طول البرقع بالغ حدًّا عظيمًا . وكأن المرأة جارية سوداء تحجبن اذا غطت وجهها حتى لا يراهُ احد . والى يمينها رأس امرأة من نساء التتر البواسل وقد اكثرت الضفائر كأنها رأت زوجها الطول منها فطاولتهُ وزادت قامتها شبرًا او اكثر بما كومتهُ على رأسها . والى يمينها زيٌّ كنا نراهُ كثيرًا في صبانا في جبال لبنان ولم يبقَ لهُ اثر فيها الآن وهو طرطور